

**الجثوم والجثو  
في القرآن الكريم  
دراسة موضوعية**

**د. محمود عبد اللطيف حمد  
الجامعة العراقية - كلية الآداب**

## مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن القرآن الكريم الذي أنزله الله على سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) هدى ورحمة ونورا وعصمة؛ إذ إنه لا سبيل لصلاح حال هذه الأمة وعزتها إلا بالتمسك بهذا الكتاب؛ فلا محيص لنا عن فهمه وتدبره والغوص في معانيه.

وبعد إجمالة النظر في القرآن الكريم؛ وقع اختياري على لفظة الجثوم والجثو، فتتبعتها فوجدتها قد ذكرت في ثمان آيات، ولأجل معرفة معناها ودلالاتها في كل آية، جاء بحثي الموسوم: (الجثوم والجثو في القرآن الكريم دراسة موضوعية).

وقد اقتضت هذه الدراسة أن تكون في مبحثين:

**المبحث الأول:** الجثوم في الدنيا، ويتضمن ثلاثة مطالب.

**المطلب الأول:** تعريف الجثوم والجثو لغة واصطلاحاً.

**المطلب الثاني:** الجثوم الذي أصاب قوم ثمود.

**المطلب الثالث:** الجثوم الذي أصاب قوم مدين.

**والمبحث الثاني:** الجثو في الآخرة.

يتبعهما خاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة، تلوتها بثبت مُسلسل لأهم المصادر والمراجع التي أفدتُ منها في إثراء المادة العلمية للبحث.

هذا، وقد كان منهجي في هذه الدراسة منهجاً موضوعياً بخطواته المعروفة، والمتمثلة بجمع الآيات أولاً، وتقسيمها بحسب الموضوعات، ثم ترتيبها بحسب النزول، ودراستها دراسة علمية

موضوعية بعد التوكل على الله تعالى، والرجوع إلى أمات كتب التفسير والحديث واللغة والسيرة النبوية.

**الآيات التي تضمنت لفظي (الجنوم)، و(الجنو)  
والتي سأقوم بدراستها في هذا البحث**

- قَالَ تَعَالَى: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَلِّحُ آثِنَا بِمَا تَعَدْنَا إِنْ كُنَّا مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِّمِينَ ﴿٧٨﴾. (١)
- قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَنِّمِينَ ﴿٦٧﴾. (٢)
- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الْكَلْبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَيْرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِّمِينَ ﴿٩١﴾. (٣)
- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَنِّمِينَ ﴿٩٤﴾. (٤)
- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَتَقَوْمِ آعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا أَيَّومَ الْآخِرِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِّمِينَ ﴿٣٧﴾. (٥)

(١) سورة الأعراف، الآية ٧٧ - ٧٨، وترتيبها في النزول ٣٩.

(٢) سورة هود، الآية ٦٦ - ٦٧، وترتيبها في النزول ٥٢.

(٣) سورة الأعراف، الآية ٩٠ - ٩١، وترتيبها في النزول ٣٩.

(٤) سورة هود، الآية ٩٤، وترتيبها في النزول ٥٢.

(٥) سورة العنكبوت، الآية ٣٦ - ٣٧، وترتيبها في النزول ٦٥.

• قَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا

(١) ﴿٦٨﴾

• قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ (٢) ﴿٧٢﴾

• قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِئَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَنُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

(٣) ﴿٢٨﴾

(١) سورة مريم، الآية ٦٨، وترتيبها في النزول ٤٤.

(٢) سورة مريم، الآية ٧٢، وترتيبها في النزول ٤٤.

(٣) سورة الجاثية، الآية ٢٨، وترتيبها في النزول ٦٥.

## المبحث الأول الجثوم في الدنيا

ويتضمن ثلاثة مطالب:

### المطلب الأول: تعريف الجثوم والجثو لغة واصطلاحاً

**الجثوم لغة:** من جثم الطائر يجثم ويجثم جثماً وجثوماً إذا ألصق صدره بالأرض<sup>(١)</sup>، وقيل: "أصابهم البلاء فبركوا فيها، والجاثم: البارك على رجليه، كما يجثم الطير؛ أي: أصابهم العذاب فماتوا جاثمين أي باركين"<sup>(٢)</sup>. وقيل: هو أن يقع على صدره؛ كقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثْمِيكَ﴾؛ أي: أجساداً ملقاة في الأرض.<sup>(٣)</sup>

(١) جمهرة اللغة: لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار النشر: دار العلم للملايين، بيروت، سنة النشر (١٩٨٧هـ)، ط ١، ٤١٥/١.

(٢) تهذيب اللغة: لمحمد بن أحمد الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار النشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، سنة النشر (٢٠٠١م)، ط ١، ٢٠/١١، مادة (جثم).

(٣) ينظر: مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (ت ٢٠٩هـ)، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، دار النشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة النشر (١٣٨١هـ)، ط ١، ٢١٨/١، وغريب القرآن لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد صقر، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت، سنة النشر (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، ١٦٩/١، والمحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هندواوي، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت، سنة النشر (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)، ط ١، ٣٧٤ / ٧، مادة (الجيم والثناء والميم)، ومعتزك الأقران في إعجاز القرآن ويسمى (إعجاز القرآن ومعتزك الأقران) لعبد الرحمن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت، سنة النشر (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، ط ١، ١٣٩/٢.

**الجثوم اصطلاحاً:** هو الوقوع باركين على الركب بعضهم على بعض وهو بمنزلة البروك للبعير. (١)

**الجثو لغة:** يقال جثوة من النار، وجثوة، وجثوة وجثوة، والجثى: تراب مجموعته وحدتها جثوة (٢)، وفي الحديث: (فإنه من جثا جهنم) (٣)، وذكر بعضهم: هي حجارة من تراب متجمع كالقبر. (٤)

(١) ينظر: كتاب الكليات: لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي (ت ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، سنة النشر: (١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ص ٥٥٠ - ٥٥١، (فصل الجيم).

(٢) ينظر: معاني القرآن: لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النحاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار النشر: دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط ١، ٣٠٥/٢، وتهذيب اللغة: ١١٥/١١، باب الجيم والذال مادة (جذا).

(٣) الجامع الكبير. سنن الترمذي. لمحمد بن عيسى بن سوره بن موسى بن الضحاك الترمذي أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار النشر: دار المغرب الإسلامي، بيروت، سنة النشر: (١٩٩٨م)، باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام، رقم الحديث (٢٨٦٣) وقال هذا حديث حسن صحيح غريب ٤٤٦/٤.

(٤) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، ٥٤٠/٧، مادة (الجيم والثاء والواو)، وتاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار النشر: دار الهداية، ٣٢١/٣٧، مادة (جثو).

وفي الحديث: (فَإِذَا لَمْ نَجِدْ حَجْرًا؛ جَمَعْنَا جُنُودًا مِنْ تُرَابٍ) (١)، والجائية: موضوعة موضع الجمع؛ كقولك جماعة قائمة وجماعة قاعدة، وبه سميت سورة الجائية، وكما في قوله (٢): ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً﴾ (٣).

**الجنوا اصطلاحاً:** هو أن يعتلوا من المحشر إلى شاطئ جهنم على حالهم التي كانوا عليها في الموقف جثاة على ركبهم مشاةً على أقدامهم (٤).

**المطلب الثاني: الجنوم الذي أصاب قوم ثمود:**

قبل البدء بدراسة آيات هذا المطلب التي تتعلق بقوم ثمود ونبئهم صالح (عليه السلام) أجد من الضرورة بمكان التعريف بقوم ثمود ودعوة نبئهم صالح (عليه السلام)؛ فقبيلة ثمود هي التي ينتمي إليها صالح (عليه السلام)، وسبب

---

(١) صحيح البخاري: لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (٢٥٦هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار النشر: دار ابن كثير اليمامة، بيروت، سنة النشر (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ط٣، كتاب المغازي/ باب وفد أبي حنيفة - رقم الحديث (٤١١٧)، ١٥٩١/٤.

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن: لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى بحدود سنة ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار النشر: دار القلم، والدار الشامية، دمشق - بيروت، سنة النشر: (١٤١٢هـ)، ط١، ١٨٧/١، (كتاب الجيم).

(٣) سورة الجائية، جزء من الآية ٢٨.

(٤) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين أنسفي (ت ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار النشر: دار الكلم الطيب، بيروت، سنة النشر: (١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ط١، ٣٤٦/٢.

تسميتها بثمود نسبة إلى "الماء القليل"<sup>(١)</sup>. وذكر أهل السير أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لما وصل إلى الحجر أي ديار ثمود قال: (لا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُعَذِّبِينَ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ؛ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ؛ لَا يُصِيبُكُمْ مَا أَصَابَهُمْ).<sup>(٢)</sup> فدعاهم إلى عبادة الله وترك عبادة الأصنام؛ إذ قال تعالى: ﴿وَالِلَّيْلِ تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقَرُونَ عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾<sup>(٣)</sup>، وسمَّاه القرآن أخاهم باعتبار النسب؛ لأنه من قبيلة ثمود، ثم طلبوا منه معجزة فأخرج الله لهم ناقة؛ إذ قال تعالى: ﴿فَدَجَاءَ تَكُمْ بَيْتَهُ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةٌ اللَّهُ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>، وسأنتكلم عنها لاحقاً. ثم ذكرهم بنعم الله عليهم؛ إذ قال تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾<sup>(٥)</sup>، ووصف الله حال المستكبرين المعاندين حيث حكى القرآن الكريم إجابة المؤمنين بقوله: ﴿قَالَ

(١) ينظر: العين: للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار النشر: دار ومكتبة الهلال، ٢٠/٨، حرف الطاء، والقاموس المحيط: لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، دار النشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ٣٤٥/١، فصل (الجيم).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب الصلاة في مواضع الخسف والعذاب، رقم الحديث (٤٢٣)، ١/١٦٧. وينظر: السيرة الحلبية: لعلي بن برهان الدين الحلبي (ت ١٠٤٤هـ)، دار النشر: دار المعرفة، بيروت، سنة النشر: (١٤٠٠هـ)، غزوة تبوك، ١٠٦/٣.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٧٣.

(٤) سورة الأعراف، الآية ٧٣.

(٥) سورة الأعراف، الآية ٧٤.

الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَنْ يَعْلَمُونَ أَنَّ  
صَلِحًا مَرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ (١)

أي: قال المؤمنون نحن مصدقون وموحدون ولم يجيبوا بـ (نعم) أو (نعلم)؛ فأجابوا بما يستلزم هذا المعنى ويزيد، وهو أنهم علموا بذلك يقيناً أنه مرسل من ربه. (٢)

### طلب القوم نزول العذاب:

قال تعالى: ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَلِّحُ اتِّبْنَا بِمَا  
تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٧٨﴾ (٣)  
طلب قوم صالح معجزة للاستدلال على نبوته فأخرج الله لهم ناقة من الصخرة  
للدلالة على نبوته؛ فقال: ﴿ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ  
وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٧٦﴾ (٤)، وقد كانت هذه الناقة تشرب من بئر  
معينة يوماً لها ويوماً آخر للقوم، كما ذكر القرآن ذلك ﴿ وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ

(١) سورة الأعراف، الآية ٧٥.

(٢) ينظر: محاسن التأويل: لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد قاسم الحلاق القاسمي (ت ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت، سنة النشر: (١٤١٨هـ)، ط ١، ١٢٧/٥، وتفسير القرآن الحكيم المسمى بـ (تفسير المنار)، لمحمد رشيد بن علي رضا الحسني (ت ١٣٥٤هـ)، دار النشر: دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: (١٩٩٠م)، ٤٤٨/٨، والمستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، د. عبد الكريم زيدان، دار النشر: مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، بيروت، سنة النشر: (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)، ط ١، ١٢٦.

(٣) سورة الأعراف، الآية ٧٨.

(٤) سورة الأعراف، الآية ٧٣.

شَرِبَ مُخَضَّرٌ ﴿٢٨﴾<sup>(١)</sup>، وقال في سورة أخرى: ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾﴾<sup>(٢)</sup>

وذكرهم صالح ( عليه السلام ) أنهم إذا مسوا هذه الناقة بسوء؛ فإن الله سيسخط عليهم ويعذبهم، إذ قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةٌ لِلَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾<sup>(٣)</sup>؛ ولكن القوم كذبوه وتجرأوا على الله وتحذوه، قال تعالى: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَلِّحُ آثِنًا يَمَّا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾﴾<sup>(٤)</sup>؛ أي: نحرروها وأسند العقر إلى جميعهم؛ لأنه كان برضاهم وإن لم يباشره إلا بعضهم وطلبوا نزول العذاب وكأنهم استعجلوا نزول العذاب من الله لأنهم كانوا يعتقدون أن ذلك لا يحصل لاعتقادهم أن صالح غير مرسل وغير صادق في إدعائه النبوة ولذلك قالوا: ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(٥)</sup>؛ فجاء العذاب وهي الرجفة الشديدة؛ أي: الزلزلة الشديدة التي حصلت من الصيحة الشديدة قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٧٨﴾﴾<sup>(٦)</sup> أي: ساقطين على وجوههم لا يتحركون، وأخذت أولئك المستكبرين الرجفة المتمثلة بالزلزلة الشديدة فأهلكتهم فأصبحوا في بلادهم أو مساكنهم باركين على الركب ساقطين على وجوههم هامدين لا يتحركون جاثمين.

(١) سورة القمر، الآية ٢٨.

(٢) سورة الشعراء، الآية ١٥٥.

(٣) سورة الأعراف، الآية ٧٣.

(٤) سورة الأعراف، الآية ٧٧.

(٥) سورة الأعراف الآية ٧٧.

(٦) سورة الأعراف، الآية ٧٨.

من خلال هذا العرض يمكنني تصوير ثلاث مشاهد. يتمثل المشهد الأول: بالرجفة الشديدة التي جعلت الأرض تهتز من تحت أقدامهم والمشهد الثاني: ما صاحب هذه الزلزلة من الخوف الشديد بسبب موجان الأرض، والمشهد الثالث: يتمثل بصورة المستكبرين وهم ساقطين على الأرض جاثمين على وجوههم جزاء وفاقاً. جزاء فعلهم في التبصير عن هذا المصير، وهو مشهد المستكبرين الجاثمين.<sup>(١)</sup>

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾.<sup>(٢)</sup>

بعد عقربهم للناقة وطلبهم نزول العذاب قال لهم صالح (عليه السلام): قَالَ تَعَالَى: ﴿ تَمَتُّوْا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدْ غَيْر مَكْذُوبٍ ﴾<sup>(٣)</sup>؛ أي: قال لهم نبيهم بعد نحرهم للناقة عيشوا في بلدكم هذا متمتعين بما فيه من نعم لمدة ثلاثة أيام فقط وهي آخر ما بقي لكم من متاع هذه الدنيا وهذا الوعد غير مكذوب لأنه صادر من الله وهنا تحقق الوعد، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا ﴾<sup>(٤)</sup>؛ أي: بإنزال العذاب ﴿ نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا ﴾<sup>(٥)</sup>؛ أي: برحمة

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لمحمد بن جرير بن يزيد بن غالب الأملوي، أبي جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، سنة النشر: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ٥٤٥/١٢، وفي ظلال القرآن: لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت ١٣٨٥هـ)، دار الشروق، بيروت، القاهرة، سنة النشر: (١٤١٢هـ)، ط ١٧، ٣/١٣١٤، والمستفاد من قصص القرآن، ص ١٢٨.

(٢) سورة هود، الآيتان ٦٦ - ٦٧.

(٣) سورة هود، من الآية ٦٥.

(٤) سورة هود، من الآية ٦٦.

(٥) سورة هود، من الآية ٦٦.

عظيمة كائنة منا وهذه النجاة الأولى. وأما النجاة الثانية؛ فهي في قوله ﴿وَمَنْ خَزَىٰ يَوْمَئِذٍ﴾؛ أي: من خزي وذل ذلك اليوم الهائل الشديد الذي ينزل فيه العذاب فيصيب الظالمين وينجي المتقين.

وفي هذه الآية إشارة إلى المدة المتبقية لنزول العذاب وهي ثلاثة أيام وفي ذلك الوعد عذاب آخر للقوم الكافرين فإنهم بدأوا يعدون ساعات استقبال العذاب ولا يخفى على أحد ما لهذه القضية من عذاب نفسي للمجرمين زيادة على ما سيحل بهم من الله تعالى يوم الحساب كما في هذه الآية إشارة إلى مقابلة المؤمنين الذين استمعوا لقول صالح (عليه السلام) وآمنوا به ونجاتهم من العذاب في الدنيا والآخرة، وهذا النوع يسمى بـ(المقابلة)<sup>(١)</sup> بين حال الكافرين وحال المؤمنين<sup>(٢)</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ والصيحة: الصوت الشديد المرتفع فبعد أن أخذتهم الصيحة كانوا جاثمين: من الجثوم وهو كجثوم الإبل؛ أي: البروك على الأرض أو وقع على صدره كما يقال جثم الطير أي لزم مكانه فلم يبرح فأصبحوا هلكى، صرعى، ساقطين على وجوههم بدون حركة.<sup>(٣)</sup>

(١) المقابلة: هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب؛ كقوله تعالى: "فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً". ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، لجلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني، دار النشر: دار إحياء العلوم، بيروت، سنة النشر، (١٩٩٨م)، ط٤، ٣٢١/١.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الرازي ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، دار النشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، سنة النشر: (١٤١٩هـ)، ط٣، ٢٠٥١/٦، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم: لمحمد سيد طنطاوي، دار النشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، ط١، ٢٣٦/٧.

(٣) ينظر: المرجع نفسه ٢٣٦/٧.

ومن هذه القصة نستلهم الدروس والعبر بأن المسلم لا يجوز له التكبر، وأن لا يجاهر بالعداوة والعصيان، وأن من يدلنا على الخير يجب أن نتبعه، قال تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ (١).

خلاصة القول في الآية أعلاه يمكننا استحضار المشهد الإلهي في قوم ثمود، المرتسم بأحداث الصيحة المسلطة عليهم من السماء والرجفة التي أخذتهم من الأرض، وما يصاحب تينك المشهدين من الخوف والفرع والرعب؛ فصاعقة مصحوبة بصوتها الشديد، وزلزلة الأرض من تحت ديارهم، أدت إلى هلعهم وخروجهم مخذولين خائفين، ومن ثم يأتي المشهد الثاني الذي يصور لنا حالهم المتمثل بموتهم وجثومهم على الأرض من دون أن ينفعهم فرارهم من العذاب.

### المطلب الثالث: الجثوم الذي أصاب قوم مدين

قبل الشروع بدراسة قوم مدين ونبیهم شعيب (عليه السلام) أجد من الضروري التعريف بقوم مدين ودعوة نبیهم شعيب (عليه السلام)؛ إذ أرسل الله تعالى رسوله شعبياً إلى "مدين" وهذه الكلمة تطلق على القبيلة وعلى المدينة وقيل هي محاذية لتبوك، وقيل هي بين المدينة والشام<sup>(٢)</sup> ﴿ وَكَمَا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> وهم أصحاب الأيكة.<sup>(٤)</sup> فدعاهم سيدنا شعيب (عليه السلام) إلى عبادة الله وحده ونهاهم عن المفاصد التي فشت فيهم ومنها التطفيف

(١) سورة الأعراف، الآية ١٤٦.

(٢) ينظر: معجم البلدان: لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، دار النشر: دار صادر، بيروت، سنة النشر (١٩٩٥م)، ٢٥، ٧٧.

(٣) سورة القصص، الآية ٢٣.

(٤) الأيكة: قيل هي تبوك التي غزاها النبي (صلى الله عليه وسلم) وقيل هي الغيضة الملتفة الأشجار والجمع أيك والمراد بأصحاب الأيكة أهل مدين. ينظر: معجم البلدان، ١/٢٩.

في الكيل والميزان؛ إذ قال تعالى: ﴿وَأِلَىٰ مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُورُ  
 أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا  
 الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ  
 إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ  
 تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأذْكُرُوا إِذْ  
 كُنتُمْ قَلِيلًا فَكُتِرْكُمْ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾؛ فيشمل  
 البخس المنهي عنه؛ بخس الناس حقوقهم المادية والمعنوية فهو عام في حق كل  
 واحد. (٢) ونهاهم عن قطع الطريق الحسي والمعنوي فأما الحسي فقولته تعالى:  
 ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ (٣)؛ أي: لا تقطعوا الطريق في قتل الناس  
 إذا لم يعطوكم أموالهم وتمنعون من يريد الحق في سماع الخير من دعوة شعيب  
 (عليه السلام). وأما قطع الطريق المعنوي ففي قوله تعالى: ﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ  
 لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ (٤)؛ أي: تبعدون عن دين الله  
 وطاعته من آمن بشعيب بتهديدهم بما يؤذيهم ويضرهم إن ظلوا متبعين شعيباً  
 ودعوته وتريدون أن تجعلوا دعوة شعيب ذات عوج بما تلقونه من شبهات باطلة

(١) سورة الأعراف، الآيتان ٨٥-٨٦.

(٢) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم محمود  
 بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، دار النشر: دار الكتاب العربي،  
 بيروت، سنة النشر (١٤٠٧هـ)، ط ٣، ١٢٨/٢، والمستفاد من قصص القرآن للدعوة  
 والدعاة، ١٦٤.

(٣) سورة الأعراف، الآية ٨٦.

(٤) سورة آل عمران، الآية ٩٩.

وبما تصفونها بما يشينها وينفر الناس عنها. وأكثر شعيب (عليه السلام) من حواره مع قومه حتى لقب بخطيب الأنبياء.<sup>(١)</sup>

### طلب القوم نزول العذاب:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿١٠﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنَثِمِينَ ﴿١١﴾ ﴾<sup>(٢)</sup>؛ أي: استخفوا في كفرهم وإصرارهم على الهلاك. وقال الملاء الذين كفروا من قومه أي أشرافهم الذين يثبطونهم عن الإيمان أنكم إذا اتبعتم شعيباً أنكم إذا لخاسرون؛ لاستبدالكم الضلال بالهدى؛ كقوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتِ بِمَنَاجِرِهِمْ ﴾ وقيل تخسرون بإتباعه فوائد البخس والتطفيف؛ لأنه ينهاهم عنهما ويحملكم على العدل وعدم بخس الآخرين. وذكر الزمخشري في تفسير هذه الآية فقال: "فإن قلت فما جواب القسم الذي وطأته اللام في ﴿ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا ﴾ وجواب الشرط؟ قلت: قوله إنكم إذا لخاسرون سد مسد الجوابين ﴿ الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا ﴾ مبتدأ خبره ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ﴾، وكذلك كانوا هم الخاسرين. وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص، كأنه قيل: الذين كذبوا شعيباً هم المخصصون بأن أهلكوا واستؤصلوا، كأن لم يقيموا في دارهم لأن الذين اتبعوا شعيباً قد أنجاهم الله، الذين كذبوا شعيباً هم المخصصون بالخسران العظيم دون أتباعه فإنهم رابحون.

<sup>(١)</sup> ينظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ): تحقيق: هشام سمير البخاري، دار النشر: دار عالم الكتب، الرياض، سنة النشر (١٤٣٣هـ / ٢٠١٣م) ٢٤٧/٧، وتفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: عاصي بن محمد سلامة، دار النشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، سنة النشر: (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، ط ٢، ٤٠١/٣.

<sup>(٢)</sup> سورة الأعراف، الآيتان ٩٠-٩١.

وفي هذا الاستئناف والابتداء وهذا التكرير مبالغة في رد مقالة الملائكة لأشباعهم وتسفيه لرأيهم".<sup>(١)</sup>

﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ ﴾ والرجفة: هي الزلزلة الشديدة التي ينال معها الإنسان اهتزاز وارتعاد واضطراب<sup>(٢)</sup>، وقيل: إنهم أخذتهم الرجفة وذلك كما أرجفوا شعبياً وأصحابه وتوعدهم بالجلاء كما أخبر عنهم في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَثِيمًا ﴾<sup>(٣)</sup>، والمناسبة هنا - والله أعلم - أنهم تهكموا به في قولهم: ﴿أَصَلُّوْا تَأْمُرُكُمْ﴾<sup>(٤)</sup>؛ فجاءت الصيحة فأسكنتهم وأخرستهم<sup>(٥)</sup>. وقيل: ولما جاء أمرنا بإهلاكهم نجينا شعبياً والمؤمنين معه بسبب رحمة عظيمة منا، وأما الظالمون؛ فأخذتهم صيحة عظيمة من عذاب الله. وقيل: صاح بهم جبريل صيحة؛ فأخرجت أرواحهم من أجسادهم، وقد ذكر الله تعالى ذلك في قوله: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَثِيمًا ﴾<sup>(٦)</sup>؛ أي: موتى هامدين لا حراك لهم. وقيل: أنتهم (صيحة)، وفي سورة الأعراف (رجفة)، وفي سورة الشعراء ﴿عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ﴾<sup>(٦)</sup>، وهم أمة واحدة اجتمع عليهم يوم عذابهم هذه النقم كلها؛

(١) ينظر: الكشف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل، دار النشر: دار عالم

الكتب، الرياض، سنة النشر (١٤٣٣هـ - ٢٠١٣م)، ٧/٢٤٨.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد

الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد

الشافعي محمد، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، سنة النشر (١٤٢٢هـ)

. ٤٢٩/٢

(٣) سورة هود، الآية ٩٤.

(٤) سورة هود، الآية ٨٧.

(٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٤٠٣/٢.

(٦) سورة الشعراء، جزء من الآية ١٨٩.

وإنما ذكر ذلك في كل سياق ما يناسبه، و﴿يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾<sup>(١)</sup> هي سحابة أظلتهم فيها شرور من نار ولهب<sup>(٢)</sup>. ورب قائل يقول: وردت (وأخذ) كما في قصة ثمود بدون تاء؛ إذ اختفت من الفعل؛ كما في سورة هود ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾<sup>(٣)</sup>، ووردت بالتاء في الفعل في السورة ذاتها ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾<sup>(٤)</sup> مخاطبة قوم مدين، لماذا؟ الجواب: إن الذي تكلم هنا هو رب العباد سبحانه وتعالى، ولا يصح أن نفهم الصيحة على أنها جاءت لتعبر عن صيحة واحدة؛ فناء التأنيث تعبر عن الصيحة لمدة واحدة.

أما إذا تكررت وصاحت صياحاً كثيراً تأخذهم كل صيحة من الصياح؛ فالصيحة فيها ضعف الأنوثة. أما الصياح؛ ففيه عزيمة وقوة الرجولة، إذ أراد الله أن يجمع بين الحادثين العظيمين؛ فقال: (أخذ) ولم يقل: (أخذت)، ثم قال: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَثِيمِينَ﴾؛ أي: ملقون على جباههم فلا توجد فيهم حركة وهم عاجزون<sup>(٥)</sup>. وفي الآية إشارة إلى أن الجزاء من جنس العمل؛ إذ تهكموا من قول سيدنا شعيب (عليه السلام) عندما دعا إلى العدل، وعدم أخذ المال بدون وجه حق. فهذا هو عمل سيدنا شعيب الذي لم يستمع له قومه في دعواه؛ بل استهزأوا به: ﴿قَالُوا يَسْخَعِبُ أَصْلُوتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ

(١) سورة الشعراء، جزء من الآية ١٨٩.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٤٦٥/١٥، والجامع لأحكام القرآن ٨٤/٩، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٤٤٩/٣.

(٣) سورة هود، الآية ٦٧.

(٤) سورة هود، الآية ٩٤.

(٥) ينظر: تفسير الشعراوي: لمحمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ)، دار النشر: مطابع أخبار اليوم، سنة النشر (١٩٩٧م)، ٦٥٤٤/٨.

فَعَمَلٌ فِيهِ أَمْوَالُنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾<sup>(١)</sup>؛ فجاء أمر الله الذي أسكتهم جزاء قولهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِلَى مَدِينِكَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَتَقَوَّمُ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٣٧﴾<sup>(٢)</sup>؛ أي: وأرسلنا إلى قوم مدين أخاهم شعيباً؛ فقال لقومه ناصحاً ومذكراً: يا قوم وحدوا الله واتقوه وخافوا عذابه وعقابه الشديد يوم القيامة ﴿وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾؛ أي: لا تسعوا بالإفساد في الأرض بأنواع البغي والعدوان ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾؛ أي: فكذبوا رسولهم شعيباً فأهلكهم الله برجفة عظيمة مدمرة زلزلت عليهم بلادهم، وصيحة هائلة أخرجت القلوب من حناجرها ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ﴾؛ أي: فأصبحوا هلكى باركين على الركب ميتين لا حركة لهم<sup>(٣)</sup>، وقيل هي صيحة جبريل؛ فإنها الموجبة للرجفة بسبب تمويجها للهواء وما يجاوره من الأرض، فأصبحوا؛ أي: صاروا في دارهم، أي: بلادهم ولم يقل: في ديارهم لأمن اللبس، جاثمين أي: باركين على الركب ميتين مستقبلين بوجوههم الأرض وذلك بسبب عدم استماعهم إلى داعي الحق وتزلزل باطنهم فالجزاء من جنس العمل.<sup>(٤)</sup>

وقد يقول قائل: ما الفرق بين كلمتي (دارهم) و(ديارهم) من الناحية البيانية في القرآن الكريم؟ نقول: إن الصيحة هي أشمل وأهم من الرجفة؛ لذا

(١) سورة هود، الآية ٨٧.

(٢) سورة العنكبوت، الآيتان ٣٦-٣٧.

(٣) ينظر: صفوة التفاسير: لمحمد علي الصابوني، دار النشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، ط١، سنة النشر (١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ٤٣٢/٢.

(٤) ينظر: روح البيان: لإسماعيل حقي مصطفى الاستانبولي الحنفي الخلوتي المولى أبو الفداء (ت١١٢٧هـ)، دار النشر: دار الفكر، بيروت، ٤٦٨/٦.

فإنها تصيب عدداً أكبر وتبلغ أكثر من الرجفة والمعلوم أن الصوت يمتد أكثر من الرجفة ولهذا فهي تؤثر في ديار عديدة؛ لذا جاء استخدام كلمة (ديارهم) مع الصيحة كما في الآية (٦٧)، والآية (٩٤) من سورة هود، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَثِيمًا ۖ ﴿٦٧﴾، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَثِيمًا ۖ ﴿٩٤﴾. أما الرجفة؛ فيكون تأثيرها في مكانها فقط؛ لذا جاء استخدام كلمة (دارهم) مع الرجفة كما في قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِيمًا ۖ ﴿٧٨﴾، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِيمًا ۖ ﴿٣٧﴾. (١) ولم ترد في القرآن كلمة (ديارهم) إلا مع العذاب بالصيحة ولم ترد كلمة (دارهم) إلا مع العذاب بالرجفة. (٢)

قال تعالى في سورة هود عن قوم صالح: ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ ۖ ﴿٣٧﴾، وقال في السورة نفسها في مدين - قوم شعيب - : ﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ ۖ ﴿٤٤﴾، وهنا نتساءل: لماذا قال تعالى في قوم صالح: ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ ۖ ﴿٥٥﴾ بتذكير الفعل (أخذ)، وقال في قوم شعيب: ﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ ۖ ﴿٦٦﴾ بالتأنيث مع أن الفاعل واحد، والفصل بين الفعل والفاعل واحد؟

(١) سورة العنكبوت، الآية ٣٧.

(٢) ينظر: الأسئلة والأجوبة المفيدة في لطائف بعض الآيات القرآنية: للدكتور فاضل صالح السامرائي، أستاذ النحو في جامعة الشارقة، رقم السؤال (٤٥)، ٢٦/١.

(٣) سورة هود، جزء من الآية ٦٧.

(٤) سورة هود، جزء من الآية ٩٤.

(٥) سورة هود، جزء من الآية ٦٧.

(٦) سورة هود، جزء من الآية ٩٤.

فالجواب على ذلك: من المعلوم أنه يجوز في نحو هذا تنكير الفعل وتأنيثه؛ لأن الفاعل غير حقيقي التأنيث، وأما اختيار التنكير والتأنيث في كل موضع؛ فله أكثر من سبب، منها: أنه قيل: إنه أخبر عن قوم شعيب بثلاثة أنواع من العذاب كلها مؤنثة الألفاظ وهي: الرجفة، والصيحة، والظلة، فناسب ذلك التأنيث في أهل مدين يقول صاحب (درة التنزيل): "فلما اجتمعت ثلاثة أشياء مؤنثة الألفاظ في العبارة عن العذاب الذي أهلكوا به؛ غلب التأنيث في هذا المكان على المكان الذي لم تتوال فيه هذه المؤنثات؛ فلذلك جاء في قصة شعيب ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾" (١).

وعقب الدكتور فاضل السامرائي على كلام صاحب (درة التنزيل) بقوله "والصواب أن مدين ذكر عنهم سبحانه أنهم أخذتهم الصيحة، وأنهم أخذتهم الرجفة. وأما عذاب يوم الظلة؛ فإنه لم يصب مدين، وإنما أصاب أهل الأيكة، قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (١٨٨) (٢) وكلاهما أرسل إليهما شعيب، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أن (الرجفة) أخذت قوم صالح أيضاً، قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ (٣)، ثم إنه عبر عن عذاب قوم صالح بالخزي؛ فقال: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ رِجْمَةَ مِمَّا وَمَنْ خِزْيٍ يَوْمَئِذٍ﴾ (٤)، والخزي مذكر؛ فناسب التنكير في قوم

(١) درة التنزيل وغرة التأويل: لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بـ(الخطيب الاسكافي)، (ت ٤٢٠هـ)، دراسة وتحقيق: د. مصطفى أيدين، دار النشر:

جامعة أم القرى، سنة النشر: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ط ١، ٧٦٧/٢.

(٢) سورة الشعراء، الآية ١٨٩.

(٣) سورة الأعراف، جزء من الآية ٧٨.

(٤) سورة هود، جزء من الآية ٦٦.

صالح<sup>(١)</sup>. وقد تقول: إن الله تعالى قال في قصة مدين ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾<sup>(٢)</sup>؛ فنقول: إنه ذكر العذاب أيضاً في قصة ثمود، فقال: ﴿فِيَأْخُذُكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾<sup>(٣)</sup>، وذكر الخزي علاوة على ذلك فناسب التذكير في قوم صالح، ثم أن التعقيب على قوم صالح وعقابهم أشد مما ذكر في قوم شعيب؛ فقد قال في قوم صالح: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾<sup>(٤)</sup> وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَثْمِينَ<sup>(٥)</sup> كَانَتْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا<sup>(٦)</sup> أَلَا إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ<sup>(٧)</sup> أَلَا بَعْدَ الثَّمُودِ<sup>(٨)</sup>؟ وقال في قوم شعيب: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَثْمِينَ<sup>(٩)</sup> كَانَتْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا<sup>(١٠)</sup> أَلَا بَعْدَ لَمَدَيْنَ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ<sup>(١١)</sup>﴾<sup>(١٢)</sup>، ومن يُنعم النظر في النصين القرآنيين؛ يتبين له ما يأتي:

أولاً: أنه قال في قوم صالح: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾<sup>(١٣)</sup>، وقال في مدين: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾<sup>(١٤)</sup>، والفاء تفيد التعقيب ذلك أنه قال على لسان نبيها صالح: ﴿فِيَأْخُذُكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾<sup>(١٥)</sup>؛ فناسب التوعد بالعذاب القريب ذكر الفاء التي تفيد

(١) ينظر: معاني النحو للدكتور فاضل صالح السامرائي، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر،

الموصل، سنة النشر (١٩٩١م)، ط١، (باب الفاعل) ٢/٤٨٥-٤٨٨.

(٢) سورة هود، الآية ٩٣.

(٣) سورة هود، جزء من الآية ٦٤.

(٤) سورة هود، الآيتان ٦٦-٦٨.

(٥) سورة هود، الآيتان ٩٤-٩٥.

(٦) سورة هود، جزء من الآية ٦٦.

(٧) سورة هود، جزء من الآية ٩٤.

(٨) سورة هود، جزء من الآية ٦٤.

الترتيب والتعقيب. ثم إن نبيهم توعدهم بعد عقر الناقة بالعذاب بعد ثلاثة أيام، فلما انقضت الأيام الثلاثة؛ حلَّ بهم العذاب؛ فناسب ذلك أيضاً ذكر الفاء التي تفيد الترتيب والتعقيب، وليس الأمر كذلك في مدين؛ فناسب ذكر الواو.

**ثانياً:** أنه ذكر الخزي في عقوبة قوم صالح فقال: ﴿وَمَنْ خَزِيَ يَوْمَئِذٍ﴾<sup>(١)</sup>، ولم يذكر ذلك في قوم شعيب.

**ثالثاً:** ذكر قوة الله تعالى وعزته تعقياً على هلاك قوم صالح؛ فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَلْفَوْهُ الْعَزِيزُ﴾<sup>(٢)</sup>، ولم يذكر مثل ذلك في قوم شعيب.

**رابعاً:** قال في قوم صالح: ﴿أَلَا إِنَّ تَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>، ولم يقل ذلك في قوم شعيب (عليه السلام).

فاتضح بعد هذه الدراسة أن التعقيب على قوم صالح (عليه السلام) في العذاب كان أشد في عقوبتهم بلفظ التذكير؛ فقال: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾<sup>(٤)</sup>؛ لأن المذكر أقوى من المؤنث؛ فناسب التذكير في قوم صالح والتأنيث في قوم شعيب.

ومن ثم؛ فإن قصة قوم شعيب في هذه السورة أطول من قصة قوم صالح؛ إذ إن قصة قوم صالح تضمنت ثمان آيات: من الآية الحادية والستين إلى الآية الثامنة والستين. وإن قصة مدين اثنتا عشرة آية: من الآية الرابعة والثمانين إلى الآية الخامسة والتسعين، وإن كلمة (أخذت) أطول من (أخذ)؛ فناسب الكلمة الطويلة طول القصة من جهة أخرى.

(١) سورة هود، جزء من الآية ٦٦.

(٢) سورة هود، جزء من الآية ٦٦.

(٣) سورة هود، جزء من الآية ٦٨.

(٤) سورة هود، جزء من الآية ٦٧.

وزيادة على هذه المعاني في هذه الآيات أنه وردت كلمة (العذاب) في قوم صالح (عليه السلام) في سور القرآن الكريم أكثر مما وردت في مدين؛ فإنها وردت في قوم صالح سبع مرات وهي:

- قوله تعالى: ﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٧٣).<sup>(١)</sup>
- وقوله: ﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ (٦٤).<sup>(٢)</sup>
- وقوله: ﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (١٥٦).<sup>(٣)</sup>
- وقوله: ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ (٤).<sup>(٤)</sup>
- وقوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ﴾ (٥).<sup>(٥)</sup>
- وقوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ (١١).<sup>(٦)</sup>
- وقوله في قوم عاد وقوم ثمود وفرعون: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ (١٣).<sup>(٧)</sup>

وأما في أهل مدين؛ فمرة واحدة، وذلك في قوله تعالى: ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾

مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ (٨).<sup>(٨)</sup>

(١) سورة الأعراف، جزء من الآية ٧٣.

(٢) سورة هود، جزء من الآية ٦٤.

(٣) سورة الشعراء، جزء من الآية ١٥٦.

(٤) سورة الشعراء، جزء من الآية ١٥٨.

(٥) سورة فصلت، جزء من الآية ١٧.

(٦) سورة القمر، الآية ١٦.

(٧) سورة الفجر، الآية ١٣.

(٨) سورة هود، جزء من الآية ٩٣.

وإن من معاني الصيحة في اللغة (العذاب)<sup>(١)</sup>؛ فذكر الصيحة في قوم صالح إشارة إلى معنى العذاب ومناسبة لذكره الذي تكرر فيهم، ولم يكن الأمر كذلك بالنسبة إلى قوم شعيب أهل مدين؛ فجاء بالفعل على لفظ الصيحة وهو التأنيث.

وأما قوله تعالى تعقيباً على قوم شعيب ﴿أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعَدَتِ ثَمُودُ﴾<sup>(٢)</sup>؛ فذلك لأن طبيعة العذاب واحدة في القومين؛ فكلاهما بالصيحة؛ فشبه هلاك مدين بهلاك ثمود. والله أعلم.<sup>(٣)</sup>

### المبحث الثاني الجثو في الآخرة

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾<sup>(٤)</sup>.

أقسم سبحانه بنفسه؛ فقال: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾؛ أي: لنجمعنهم يوم القيامة المشركين المنكرين للبعث والشياطين مع الشياطين، يعني قرناءهم الذين أضلوهم، يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾، قال ابن عباس: (جَمَاعَاتٍ جَمَاعَاتٍ)، وعلى هذا هو جمع جثوة؛ وهي المجموع من التراب والحجارة. وقال مقاتل: (جميعاً)، وهو على هذا القول جمع جثوة. وقال الحسن والضحاك: (جائثية على الركب)، وهو على هذا التأويل جمع

(١) ينظر: العين، ٢٧٠/٣، باب الحاء والصاد، مادة (صوح)، والقاموس المحيط: ٢٩٤/١، فصل الصاد، مادة (الصيح).

(٢) سورة هود، جزء من الآية ٩٥.

(٣) ينظر: أسئلة بيانية في القرآن الكريم: للدكتور فاضل السامرائي، مكتبة الصحابة، الإمارات - الشارقة، ومكتبة التابعين، القاهرة، عين شمس، سنة النشر (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م)، ط ١، ٩٦-٩٢.

(٤) سورة مريم، الآية ٦٨.

جاء، وقيل: أخبر أنه يحضر هؤلاء المنكرين للبعث مع الشياطين؛ فيجتون حول جهنم؛ وهي قعدة الخائف الذليل على ركبته كالأسير.<sup>(١)</sup>

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾.<sup>(٢)</sup>

بعد أن أمر سبحانه عباده بالعبادات بجميع أنواعها والمصابرة عليها على ما فيها من مشاق وفوائد؛ بيّن فائدة ذلك، وهي أنها تتجهم يوم الحشر ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾﴾<sup>(٣)</sup>، وهو يوم لا مفرّ منه وهو يوم القيامة، ثم ذكر ما يلقاه الكافرون يومئذ من الذل والهوان وإن جميع الخلائق ترد النار ولا ينجو منها إلا من اتقى ربه وأخلص في عمله<sup>(٤)</sup>، فعن أم مبشر أنها سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول عند حفصة: (لا يدخل النار - إن شاء الله - من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها. قالت: بلى، يا رسول الله؛ فانتهرها؛ فقالت

(١) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أبو إسحاق (ت ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، سنة النشر (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م)، ط ١، ٦/٢٢٤، والمحرر الوجيز ٤/٢٥، وزاد المسير في علم التفسير: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق مهدي، دار النشر: دار الكتاب العربي، بيروت، سنة النشر (١٤٢٢هـ)، ط ١، ١٤٢/٢.

(٢) سورة مريم، الآيتان ٧١ - ٧٢.

(٣) سورة الشعراء: الآيتان ٨٨ - ٨٩.

(٤) ينظر: فتح القدير: لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، دار النشر: دار ابن كثير - دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت، سنة النشر (١٤١٤هـ)، ط ١، ٣/٤٠٩، وتفسير المراغي: لأحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ)، دار النشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، سنة النشر (١٣٦٥هـ/١٩٤٦م)، ط ١، ١٦/٧٣.

حفصة: ﴿ وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ (٧١)؛ فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): قد

قال الله عز وجل: ﴿ ثُمَّ نَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ (٧٢). (٢)

وقال (صلى الله عليه وسلم): (لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار

إِلَّا تَحَلَّةَ الْقَسَمِ)، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ (٧١). (٣)

وعن ابن عباس في قوله: ﴿ وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾، قال:

(يدخلها) (٤)، وذكر بعض المفسرين في قوله: ﴿ ثُمَّ نَجَّى الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ (٧٢)؛ أي:

اتقوا الشرك والمعاصي ﴿ وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ ﴾؛ يعني: المشركين فيها جثياً، يعني:

جميعاً؛ ففرح المسلمون بها فرحاً شديداً. (٥)

(١) سورة مريم: الآية ٧١.

(٢) صحيح مسلم: لمسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق:

محمد فؤاد عبد الباقي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، كتاب فضائل

الصحابة (رضي الله عنهم)، باب فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان (رضي

الله عنهم)، رقم الحديث (٢٤٩٦)، ٤/١٩٤٢.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الجنائز، باب الإذن بالجنائز، رقم الحديث (١١٩٣)، ٤٢١/١، قال

د. مصطفى ديب البغا: "فيلج النار"؛ أي: يدخل، "تحلّة القسَم"؛ أي: يردّ عليها وروداً

سريعاً بقدرٍ يبرّر الله تعالى به قسَمه في قوله عز وجل: ﴿ وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ (٧١)،

ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل

العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢هـ)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام

بإخراجه وصحّحه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، علّق عليه: د. مصطفى

ديب البغا، دار النشر: دار المعرفة - بيروت، سنة النشر: (١٣٧٩هـ)، باب فضل من

مات له ولد فاحتسب، ٣/١٢٣.

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٨/٢٣٢.

(٥) ينظر: بحر العلوم: لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي

(ت ٣٧٣هـ)، ب. ت. ٢/٣٨٤.

وذكر بعضهم في تفسيرها أي: ينجي من كان مؤمناً بعضهم قبل بعض، ويترك الكفار في نار جهنم بنعت الخيبة عن الخروج منها، وعند ذلك يشتد عليهم البلاء، وتطبق عليهم أبواب جهنم، ولا يخرجون منها. وهو وصف لأنواع العذاب، وينجو القوم المؤمنون حسب تقواهم، فكلما ازداد المؤمن تقوى؛ عجل له في النجاة، وكلما ازداد الظالمون فيها معاصي؛ ازدادوا عذاباً وجثوماً؛ أي: جميعاً جاثمين على ركبهم.<sup>(١)</sup>

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، يصف الله تبارك وتعالى حال الأمم العاصية يوم الدين كيف حالها وهي تعاقب على ما اقترفت من مخالفة لأوامر الله؛ إذ يقول تعالى: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً﴾، قال الفراء: "ترى كل أهل دين جائية"<sup>(٣)</sup>، وقال الزجاج: "أي؛ جالسة على الركب، يقال: قد جثا فلان يجثو؛ إذا جلس على ركبته".<sup>(٤)</sup>

قال تعالى: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾<sup>(٥)</sup> هذه من تفاصيل يوم القيامة تدعى إلى صحائف أعمالها، ويدخل في هذه الآية المؤمنون والكافرون.

(١) ينظر: لطائف الإشارات: لعبد الكريم هوازن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، دار النشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط ٣، ٤٣٩/٢. والوسيط في تفسير القرآن المجيد: لأبي الحسن علي بن أحمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، والدكتور أحمد محمد صبرة، والدكتور أحمد عبد الغني الجمل، والدكتور عبد الرحمن عويس، تقديم وتقرير: الأستاذ الدكتور: عبد الحي العزموي، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، سنة النشر: (١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، ١٩٢/٢.

(٢) سورة الجاثية، الآية ٢٨.

(٣) معاني القرآن ٤٨/٣.

(٤) معاني القرآن وإعرابه: لإبراهيم بن السراي أبي إسحاق (ت ٣١١هـ)، دار النشر: عالم الكتب، بيروت، سنة النشر: (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)، ٤٣٥/٤.

(٥) سورة الجاثية: جزء من الآية ٢٨.

وقيل: الجثو على الركبة إنما يليق بالخائف، والمؤمنون لا خوف عليهم يوم القيامة ووصف الأمة في قوله: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ﴾، والأمة: هي الجماعة العظيمة من الناس التي قد جمعها معنى أو وصف شامل لها.

والجاثية: هي هيئة المذنب الخائف المعظم. وقد صحَّ عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: (فَبَرَكَ عُمَرُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ)<sup>(١)</sup>، وكتابها؛ أي: كتابها المنزل عليها؛ فتحاكم يوم القيامة إليه، أو افقته وأطاعت الله، أم خالفته وعصت الله.<sup>(٢)</sup>

(١) صحيح البخاري: كتاب العلم، باب من برك على ركبته عند الإمام أو المحدث، رقم الحديث (٩٣)، ٤٧/١.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٨٨/٥-٨٩، ومفاتيح الغيب المشهور (بـ) التفسير الكبير): لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار النشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، سنة النشر (١٤٢٠هـ)، ط٣، ٦٨٠/٢٧.

## الخاتمة

بعد هذه الجولة المتواضعة في ربوع القرآن الكريم؛ توصلت إلى النتائج الآتية:

١. إبراز وحدة العقيدة في دعوة الأنبياء جميعاً فكل نبي قال لقومه: (اعبدوا الله)، ثم جاءهم بالدلائل والبراهين والإرشاد؛ لكي يقنعهم بأنه صادق في دعوته.
٢. تصوير وحدة رسالة الأنبياء جميعاً في التوحيد والانقياد لله، ووحدة نهاية المستكبرين والكفار والمعاندين على مدى التاريخ.
٣. نفوس المؤمنين تتشابه في كل العصور في توضيحتهم وحبهم للدين وللأنبياء، في حين إن نفوس الكافرين تعيش في ظلام؛ لقسوتها وسوء تقبلها طريق الهداية.
٤. نتيجة الإيمان الفوز بثواب الله ورضاه، ونتيجة الكافرين غضب وخسران في الدنيا والآخرة.
٥. إن قوة الكافرين في المجتمع لا تمنع الداعي من الإنكار على مفساد المجتمع؛ ولا سيما إذا انحرقت عن مسار العقيدة الإسلامية.
٦. إن مسألة الإصلاح في المجتمع تكون بقدر الاستطاعة وباختلاف الظروف والمكان والأشخاص.
٧. من خبائث العدو: استخدام أسلوب إثارة الشبهات حول الرسالة أو الأنبياء؛ من أجل تشويه صورتها، فتارة يقولون أنه ساحر، وتارة كذاب، وتارة ضال.. فهي من الحرب النفسية والدعائية، ولا بدّ للمؤمن من الصبر وتبليغ الرسالة.
٨. وردت في قوله تعالى في قصة ثمود: (وأخذ)، وورد في قصة مدين: (وأخذت)؛ فالثانية بناء التأنيث، والأولى مجردة عنها؛ لأن الثانية صحيحة واحدة. أما إذا تكررت وصارت صياحاً كثيراً؛ ففيه قوة الرجولة، والأولى فيها ضعف الأنوثة.

٩. استخدم القرآن (ديارهم) مع الصيحة؛ لأن الصوت يمتد أكثر من الرجفة؛ ولهذا فهي تؤثر في ديار عديدة. أما الرجفة؛ فيكون تأثيرها في مكانها فقط؛ لذا جاء استخدام كلمة: (دارهم) مع الرجفة.
١٠. لم ترد في القرآن كلمة (ديارهم) إلا مع العذاب بالصيحة، ولم ترد كلمة (دارهم) إلا مع العذاب بالرجفة. وهذا يبين أن العذاب بالصيحة يكون مداه أوسع من الرجفة؛ فعبر عنها القرآن بهاتين القصتين.
١١. إذا كان الفاعل غير حقيقي؛ يجوز تكدير الفعل وتأنيثه؛ كما في قوله تعالى في قوم صالح: (وأخذ الذين ظلموا الصيحة)، وقال في قوم شعيب: (وأخذت الذين ظلموا الصيحة).
١٢. عبر عن قوم صالح بقوله تعالى: (أخذ)، وعن قوم شعيب: (أخذت) بناء التأنيث؛ لأنه سبقه (الخزي)، والخزي مذكر؛ فناسب التذكير قوم صالح، والمذكر أقوى من المؤنث.
١٣. ذكر في قصة قوم صالح: (فلما جاء أمرنا)، وقال في قصة مدين: (ولما جاء أمرنا)؛ فالفاء هنا تفيد الترتيب والتعقيب بسبب عقرهم الناقاة وتوعدهم بالعذاب بعد ثلاثة أيام، بخلاف قوم مدين فناسب ذكر الواو.
١٤. وردت كلمة العذاب في قوم صالح سبع مرات. وأما قوم شعيب وردت مرة واحدة؛ فناسب قوله تعالى: (وأخذ) في قوم صالح، وناسب قوله تعالى: (وأخذت) في قوم مدين.

١. بعد القرآن الكريم
٢. أسئلة بيانية في القرآن الكريم: للدكتور فاضل السامرائي، مكتبة الصحابة، الإمارات، الشارقة، مكتبة التابعين، القاهرة، عين شمس، سنة النشر: (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، ط ١.
٣. الأسئلة والأجوبة المفيدة في لطائف بعض الآيات القرآنية: للدكتور فاضل صالح السامرائي، أستاذ النحو في جامعتي بغداد والشارقة.
٤. بحر العلوم: لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٣هـ).
٥. تاج العروس من جواهر القاموس: لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار النشر: دار الهداية.
٦. تفسير الشعراوي: لمحمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨هـ)، دار النشر: مطابع أخبار اليوم، سنة النشر: (١٩٩٧م).
٧. تفسير القرآن الحكيم المسمى بر بتفسير المنار: لمحمد رشيد بن علي رضا الحسيني (ت ١٣٥٤هـ)، دار النشر: دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: (١٩٩٠م).
٨. تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) تحقيق: سامي بن محمد سلامة دار النشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ط ٢.
٩. تفسير القرآن العظيم: لابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الرازي ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، دار

النشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، سنة النشر: (١٤١٩هـ)، ط ٣.

١٠ . **تفسير المراغي**: لأحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ)، دار النشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، سنة النشر: (١٣٦٥هـ/١٩٤٦م)، ط ١.

١١ . **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**: لمحمد سيد طنطاوي، دار النشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١.

١٢ . **تهذيب اللغة**: لمحمد بن أحمد الأزدي الهروي، أبي منصور (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار النشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، سنة النشر (٢٠٠١م)، ط ١.

١٣ . **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**: لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاکر، دار النشر: مؤسسة الرسالة، سنة النشر: (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).

١٤ . **الجامع الكبير (سنن الترمذي)**: لمحمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الترمذي أبي عيسى (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار النشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة النشر: (١٩٩٨م).

١٥ . **الجامع لأحكام القرآن**: لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ) تحقيق هشام سمير البخاري، دار النشر: دار عالم الكتب - الرياض، (١٤٣٣هـ/٢٠١٣م).

١٦ . **جمهرة اللغة**: لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار النشر: دار العلم للملايين، بيروت، سنة النشر (١٩٨٧م)، ط ١.

- ١٧ . **درة التنزيل وغرة التأويل:** لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الاسكافي (ت ٤٢٠هـ)، دراسة وتحقيق: د. مصطفى أيدين، دار النشر: جامعة أم القرى، سنة النشر: (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ط ١.
- ١٨ . **روح البيان:** لإسماعيل حقي بن مصطفى الاستانبولي الحنفي الخلوتي المولى أبي الفداء (ت ١٢٧هـ)، دار النشر: دار الفكر، بيروت.
- ١٩ . **زاد المسير:** لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الحوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق مهدي، دار النشر: دار الكتاب العربي، بيروت، سنة النشر: (١٤٢٢هـ)، ط ١.
- ٢٠ . **السيرة الحلبية:** لعلي بن برهان الدين الحلبي (ت ١٠٤٤هـ)، دار النشر: دار المعرفة، بيروت، سنة النشر: (١٤٠٠هـ).
- ٢١ . **صحيح البخاري:** لمحمد بن إسماعيل أبوعبد الله البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار النشر: دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، سنة النشر: (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ط ٣.
- ٢٢ . **صحيح مسلم:** لمسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٢٣ . **العين:** للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: أ. د. مهدي المخزومي، وأ. د. إبراهيم السامرائي، دار النشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت.
- ٢٤ . **غريب القرآن:** لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد صقر، دار النشر: دار الكتب العلمية.

٢٥ . فتح الباري شرح صحيح البخاري: لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢هـ)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصحّحه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، علّق عليه: د. مصطفى ديب البغا، دار النشر: دار المعرفة - بيروت، سنة النشر: (١٣٧٩هـ).

٢٦ . فتح القدير: لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني لليمني (ت ١٢٥٠هـ)، دار النشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، سنة النشر: (١٤١٤هـ)، ط ١.

٢٧ . في ظلال القرآن: لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت ١٣٨٥هـ)، دار الشروق، بيروت، القاهرة، سنة النشر: (١٤١٢هـ)، ط ١٧.

٢٨ . القاموس المحيط: لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، دار النشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٩ . كتاب الكليات: لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي (ت ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، سنة النشر: (١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

٣٠ . الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، دار النشر: دار الكتاب العربي، بيروت، سنة النشر (١٤٠٧هـ)، ط ٣.

٣١ . الكشف والبيان عن تفسير القرآن: لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أبو إسحاق (ت ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، سنة النشر: (١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)، ط ١.

٣٢ . **لطائف الإشارات:** لعبد الكريم هوازن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، دار النشر: دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط ٣.

٣٣ . **مجاز القرآن:** لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (ت ٢٠٩هـ)، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، دار النشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة النشر (١٣٨١هـ)، ط ١.

٣٤ . **محاسن التأويل:** لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد قاسم الحلاق القاسمي (ت ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت، سنة النشر: (١٤١٨هـ)، ط ١.

٣٥ . **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:** لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١.

٣٦ . **المحكم والمحيط الأعظم:** لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة المرسي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت، سنة النشر (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ط ١.

٣٧ . **مدارك التنزيل وحقائق التأويل:** لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، وراجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، (١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ط ١.

٣٨ . **المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة:** د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، بيروت، (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، ط ١.

٣٩ . **معاني القرآن:** لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النحاتي، ومحمد علي

النجار، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط ١.

٤٠ . **معاني القرآن وإعرابه:** لإبراهيم بن السراي أبي إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ)، دار النشر: عالم الكتب، بيروت، (١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).

٤١ . **معاني النحو:** للدكتور فاضل السامرائي، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر، الموصل، سنة النشر: (١٩٩١م)، ط ١.

٤٢ . **معتزك الأقران في إعجاز القرآن ويسمى (إعجاز القرآن ومعتزك الأقران):** لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت، سنة النشر: (١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م)، ط ١.

٤٣ . **معجم البلدان:** لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، (١٩٩٥م)، ط ٢.

٤٤ . **مفاتيح الغيب المشهور بـ(التفسير الكبير):** لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (١٤٢٠هـ)، ط ٣.

٤٥ . **المفردات في غريب القرآن:** لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار النشر: دار القلم، والدار الشامية، دمشق، بيروت، (١٤١٢هـ)، ط ١.

٤٦ . **الوسيط في تفسير القرآن المجيد:** لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، والدكتور أحمد محمد صبرة، والدكتور عبد الغني الجمل، والدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرضه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرمادي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة (١٤١٥هـ / ١٩٩٤م).

## The kneeling and barrow holy quraan

### Objective study

By.

**Dr. Mahmoud abd-el-LateeF hamad**

#### **Abstract**

Thank for allah , the God of all and pece upon our master mohammed and on his follower ,what else.

The Holy quraan that allah had sent to mohammed (peace up on him) is aguidance ,mercy ,light and a protection hence no way to amend the nation dignity and nature other than following the quraan .all should under sland what it means and directs

After getting a wide glance at quraan ,the term "kneeling and barrow "has been chosen ,that the researcher has dedicted it and found that it has been mentioned in eight quranic verse .so the present research tries to a chiere these aims .

The present study includes two sections:-

The first section: the keeling in the present world containg three aims:-

1-the definition of kneeling and barrow concerning he language and its semantics

2-the kneeling that thamoud tribe caught

3-the kneeling that madin tribe caught

The second section : the barrow in the hereafter

A conclusion follows this section that includes the most important results that the present study concludes . then bibliography or list of referees that contribute to provide the research with good in formalin

The criterion that the researcher adopts is an objective represented by comprising the verses firstly than they are divided according to the subjects ,then arranged alphabetically .ltadeeth and exposition books have been depended on as well as linguistics and prophetic curriculum ones .





